مفهوم الحداثة عند النخبة اليسارية واثرها في ألعراق

م. حسن خلف هاشم

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية/ الجامعة المستنصرية

K.h.hassanal_alak@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص البحث:

تمثل المشاريع الفكرية بما تحمله من جهدا وتماسكا منهجيا ، والخوض في اعقد واصعب الاشكاليات ومناهجها واعادة النظر في التأمل الفلسفي لهذه المشاريع وطرقها ومناهجها المتتابعة وتداخلها العضوي لحظة مميزة في سياق الثقافة العامة لا سيما مشروع الحداثة الذي،شغل مساحات واسعة ومهمة داخل خطابات الفكر المعاصر لأن مشروع الحداثة اعطى دلالات ومعاني أخذت تصل الى الحد الذي،يجعل كل فهم معرفي ملغيا لبعض المفاهيم الأخرى. وذلك بسبب جملة من العوامل التي اسهمت في بلورة وعي العقل المعاصر بهذا المفهوم كغلبة النزعة النضالية مثلا والاصطفاف الايدلوجي على التفهم المعرفي والفلسفي للحداثة . الأمر الذي ادخل العقل الفكري المعاصر نحو السجال السلبي والذي،لم يفضي الى فهم معرفي لمشروع الحداثة ومنجزاتها العامة .

الكلمات المفتاحية : الحداثة ، النخبة ، اليسارية.

The concept of modernity among the leftist elite and its impact on Iraq

Lecturer / Hassan Khalaf Hashim

Al-Mustansiriyah centre for the International and Arabic studies

Abstracts:

Intellectual projects, with their effort, methodological coherence, delving into the most complex and difficult problems and their approaches, and reconsidering the philosophical contemplation of these projects, their successive methods and approaches, and their organic overlap, represent a distinct moment in the context of general culture. Especially the "modernity project" that occupied important spaces within the discourses of contemporary thought, because the modernity project gave connotations and meanings that began to reach the point that made every cognitive understanding cancel some other concepts. This is due to a set of factors and reasons that contributed to the crystallization of the contemporary mind's awareness of this concept. Such as the predominance of the "struggle tendency", for example, and the "ideological alignment" over the cognitive and philosophical understanding of modernity. Which led the contemporary intellectual mind towards negative debate which did

not lead to a cognitive understanding of the modernity project and its general achievements.

Keywords: Modernity, elite, leftism.

المقدمة

تمثل المشاريع الفكرية بما تحمله من جهداً ، وتماسكاً منهجياً، والخوض في اعقد واصعب الاشكاليات ومناهجها ، واعادة النظر في التأمل الفلسفي لهذه المشاريع وطرقها ومناهجها المتتابعة، وتداخلها العضوي. لحظة متميزة في سياق الثقافة العامة. لاسيما " مشروع الحداثة" الذي شغل مساحات مهمة داخل خطابات الفكر المعاصر ، لأن مشروع الحداثة اعطى دلالات ومعاني أخذت تصل الى الحد الذي يجعل كل فهم معرفي ملغياً لبعض المفاهيم الأخرى . وذلك بسبب جملة من العوامل والاسباب التي اسهمت في بلورة وعي العقل المعاصر بهذا المفهوم . كغلبة "النزعة النضالية" مثلا ، و "الاصطفاف الأيدولوجي " على التفهم المعرفي والفلسفي للحداثة . الأمر الذي ادخل العقل الفكري المعاصر نحو السجال ألسلبي والذي لم يُفضي الى فهم معرفي لمشروع الحداثة ومنجزاتها العامة.

من جانب آخر فقد فرضت التحولات الفكرية والسياسية المعاصرة على المثقف بصورة عامة بما فيه المثقف ألعراقي ضرورة بناء معرفة جديدة امام واقع كان يتميز بالتراجع على الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وغيرها .

وعلى هذا الأساس، لم تكن النخبة المثقفة العراقية ولاسيما " اليسارية" بعيدة أو بمعزل عن هذه التحولات فتحركت نحو تبني مشروع الحداثة الذي يمكن ان يواجه الاخطار الفكرية القائمة على أرض الواقع القائم . فضلاً عن الطموح الذي كان من الممكن ان يجبر النخبة اليسارية العراقية" من اعاد النظر بواقعها.

وفي ظل الاختلاف بمفهوم الحداثة وماهيتها، انطلقت النخبة اليسارية العراقية نحو تبني مشروع الحداثة داخل العراق انطلاقاً من مفهوم الحداثة كفكر اهتم بحاضره وانشغل بهموم زمنه ومشكلاته وتطلعاته ، فضلاً عن ما يمثله " مشروع الحداثة" من لحظة متميزة في سياق الثقافة والوعي الفكري المعاصر والعمل على تحقيق نوعاً من النهوض الفكري وتوظيفه داخل التربة العراقية.

اهمية الدراسة:

تأتي اهمية دراسة " مفهوم الحداثة " عند النخبة اليسارية في العراق من أن مفهوم الحداثة كان قد شغل مساحات واسعة داخل المدونة الفكرية لمشروع ألحداثة ، وتعدد الاجوبة حولها، وتنوع الاطروحات والمقاربات التي تتناولها. وصولاً ألى الكشف عن العوامل التي ساعدت على تبنيها وطرحها داخل المناخ العراقي.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للتعرف على الأنماط المختلفة التي تبنتها " النخبة اليسارية العراقية" لمفهوم الحداثة من خلال تحليل الأدوات المفهومية والمنهجية التي وظفتها في صياغة هذا المفهوم كمنجز فكري ثقافي تقدمي كان من الممكن أن يعالج بعض جوانب الضعف داخل الواقع العراقي.

هيكلية الدراسة: تكونت الدراسة من مقدمة ومبحثان وخاتمة، استهدفت المقدمة تكوين صورة مهمة من اهمية الموضوع وابعاده واسباب اختياره وامكانية بحثه. تناول المبحث الاول لمحه

مركزه عن مفهوم الحداثة عند النخبة اليسارية واهم العوامل التي ساعدت في طرحها داخل التربة العراقية. فيما تابع المبحث الثاني المنهجية العلمية والعملية للنخبة اليسارية وطروحاتها الحداثوية داخل الواقع العراقي واهم الاشكاليات التي رافقتها. أما الخاتمة فقد تضمنت اهم الاستنتاجات التي توصلت اليها هذه الدراسة .

المبحث الاول: لمحة مركزة عن مفهوم الحداثة واسباب تبنيها عند النخبة اليسارية العراقية :

إن الحداثة هي البحث المستمر للتعرف على أسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء الدائم بموضع الانسان. أما سياسياً واجتماعياً فالحداثة تعني الصياغة المتجددة للمبادئ والانظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة الى الحرية، ومن الاستغلال الى العدالة ، من التبعية الى الاستقلال، ومن الاستهلاك الى الإنتاج ، ومن سطوة القبيلة أو العائلة الى الدولة الحديثة، ومن الدولة التسلطية الى الدولة الديمقراطية. فالحداثة تعني الابداع الذي هو تقيض الاتباع [1]. بمعنى أدق ، إن الحداثة هي خروج من التقاليد الى حالة من التجدد بعدما تبدأ تناقض مع يسمى التقليد أو التراث أو الماضي[2].

أما بالنسبة الى بعدها التاريخي فهي مرحلة تاريخية بلغتها مجتمعات انسانية من مسارها التاريخي. أي عملية ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميزة بدرجة معنية من التقنية والعقلانية والحداثة كونياً هي ظهور المجتمع البرجوازي الغربي الحديث في إطار ما يسمى " بالنهضة الغربية" تلك النهضة التي جعلت من المجتمعات المتطورة صناعياً تحقق مستوى عالياً من التطور مكنها الى غزو وترويض بعض المجتمعات الاخرى[3],

أما فلسفياً فأن الحداثة مرتبطة بالفعل. بمعنى أنه ليس كلاماً نظرياً تجريدياً، وإنما مجموعة من الممارسات الانسانية التي انتقلت معها المجتمعات الغربية من ازمة ساكنه الى أزمة سائلة ، والحداثة تبدأ حالما ينفصل الزمان والمكان عن الوجود على الحالة التي كان عليها سابقاً في أزمته ما قبل الحداثة عندما كان يتلاحمان ويتشابكان بينهما داخل التربة الاجتماعية[4].

وان الدلالة الفكرية التي اعطيت لمفهوم الحداثة تعود الى حركة الاستنارة الفكرية التي عرفتها المجتمعات الغربية انطلاقاً من فكرة ان النسان هو مركز الكون، وانه لا يحتاج إلا الى عقله في دراسة الواقع أو ادارة المجتمع، وفي هذا الاطار يصبح العلم هو أساس الفكر وهو مصدراً المعنى والقيمة، وان التكنولوجيا هي الآلية الاساسية في محاولة تسخير الضمير واعادة صياغتها لتحقيق سعادة الانسان، وان العقل هو الالية الوحيدة للوصول الى المعرفة[5].

في الواقع ، فأنه ومنذ عصر ما اطلق عليه مؤرخو الأفكار بـ" النهضة العربية" في نهايات القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر والعقل العربي يحاول بشتى الوسائل المعرفية والادوات المنهجية التعرف الى العقل الغربي وتفكيك مقولاته والسعي الى هضمها واستيعابها وهذا كله لتحقيق الغاية الأهم وهي الولوج الى الزمنة الحديثة على شاكلة المجتمعات الغربية.

لاسيما بعدما نشأت الحداثة في اوربا منذ اللحظة التي تفككت فيها الثقافة الحديثة وظهرت الثقافة العلمانية التي أصبحت مناهضة لجميع مبادئ الميثولوجيا" التي قام عليها " الدين" أي مع

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص160.
(2) ناظم عبد الوحد الجاسور، موسوعة المصطلحات الفلسفية والسياسية.
(3) عبد الحليم مهورباشة، الحداثة وانماط الوعي بها في الفكر العربي المعاصر، -" تبين"ـــ(مجلة)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة سطيف،ص 107.
(4) المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص163.
(5)عبد الحليم مهورباشة، المصدر السابق، ص8.

ولادة النظام الرأسمالية في اوربا. وبهذا فق خرجت الحداثة من رحم القطاع وكان عنوانها الأساسي في الفكر هو" التنوير" ، وعنوانها في الحكم والسلطة هو" العلمانية"[1].

بالمقابل، فأن هذا الاستيعاب وهذا التفهم بالحداثة الغربية عند الفكر العربي رافقتها مجموعة من التحولات البنيوية في صيرورة الوعي بها، وأن هذا الوعي كان قد انشطر الى تيارين فكريين اساسيين الاول عمل على الاخذ بالشروط التاريخية والمقدمات الفلسفية التي قامت عليها الحداثة الغربية، وتيار فكري آخر فصَّل بين روح الحداثة وتطبيقاتها بوصفها تجربة تاريخية في المجتمعات الغربية وكان قد دعى طرح بديلاً عتها الى استحالة استنساخ التجارب الحداثية مع امكانية الاستفادة منها في عملية ولوج المجتمعات العربية الى أزمنة حداثية مخصوصه[2].

ونتيجة لذلك، فقد أنخرط الفكر العربي المعاصر في هذا المجال، فقد وجد العرب أنفسهم عن يقظتهم نتيجة صدمة الحداثة الغربية أمام انموذجين حضاريين الاول هو أنموذج الحضارة الغربية التي كانت تشكل لهم تحدياً ثقافياً وعسكرياً، والثاني هو الحضارة العربية الاسلامية التي تمثل الأساس المهم في ترسيخ هويتهم ومواجهة التحدي[3] لذلك جعلت صدمة الحداثة الغربية المثقف العربي يعيش في تناقض لايسهل حله، فكان على هذا المثقف العربي الذي تلقى تربية تقليدية أن يُصلح حسب مفهوم الحداثة مجتمعاً تقليدياً ز بتعبير أدق . كان عليه ان يبحث عن اشياء غير تقليدية في تراث تقليدي أو أن يبحث عنها لدى الطرف الغربي المتفوق[4].

وعلى وفق ما تقدم، فقد كان للنخبة اليسارية العراقية التي تأثرت بها النخبة اليسارية العربية والتي صنفت ايضاً الى(تيار تغريبي وصفي) يقلد التجربة الغربية ويرى فيها إنموذجاً شاملاً للشعوب من خلال نظرياته وأفكاره فضلاً عن مبدأ الفصل بين الدين والدولة والذي مثله شبلي شميل وفارس نمر، ويعقوب صروف و(تيار تغريبي تحريضي) يسعى الى محاولة التوفيق بين الاسلام والفكر الغربي ويرى إعادة صياغة التعاليم الدينية التقليدية بناءاً على المفاهيم العلمية الفلسفية السائدة أمثال رفاعه الطهطاوي وقاسم امين وغيرهم [5],

ترى بأنه إذا اريد أن يؤسس وعياً عميقاً للحداثة وزرعها في التجربة العراقية ولابد من المرور عبر مسلك التاريخية ن لن كل أنماط الحداثة " الدينية" و" السياسية" و" الاقتصادية" تسقط وتذوب في وعيها بالمسألة التاريخية بتعبير أدق. إن فهم الحضارة يقتضي عدَّها ظاهرة تاريخية بأمتياز، وليس هدفاً منفصلاً عن مسار التاريخ الانساني وتطوراته[6]. وبهذا التطور تمثل الحداثة نقطة من نقاط التاريخ الكوني الذي بلغته المجتمعات الغربية، كذلك تمثل الحداثة اللحظة التاريخية التي تغلبت بها الطبقة البرجوازية على الطبقة الاقطاعية . وأن الأخذ بهذا الاتجاه لابد أن يكون مبنياً على اسا تحليل حركة الواقع الاجتماعي حتى يمنح وليس على الأسس الفلسفية فقط[7].

(1)عبد الحليم مهورباشة، المصدر السابق، ص104.
(2) فادي قدري، اتجاهات واشكالات الفكر العربي النهضوي، 18 يونيو 2016، رابط المقال
https;//www,noonpost.com/12393
(3) كرطاني نور الدين، الحداثة والوعي التاريخي في فكر عبد الله العروي، (د.ت)، 2021.
(4)فادي قدري، المصدر السابق.
(5) فيب، مار، الصفوة السياسية في العراق، في كتاب: جورج لينشوفسكي، الصفوة السياسية في الشرق الاوسط، ترجمة: عادل امين هواري، دار الموقف العربي، القاهرة، 1993، ص140.
(6) بيتر فين، قوميو العراق وشـــبهة الميول الفاشـــية. ثلاثينيات القرن العشـــرين ومطلع اربعينياته. ترجمة : مصطفى نعمان احمد، ط1، بيروت، 2010، ص51.
(7) بيتر فين، المصدر السابق، ص47.

المبحث الثاني: منهجية النخبة اليسارية لمفهوم الحداثة وطروحاتها واثرها على الواقع العراقي

لقد مر المجتمع العراقي خلال الحقب التاريخية بتحديات كثيرة جعلته في مرحلة جمود وركود سياسي مع انعدام القدرة على التحول نحو صيرورة مقومات فلسفية جديدة تتجاوز جميع الاشكاليات التاريخية التي رافقته. واصبحت النمط السائد هو الصراع بين القديم والحديث والذي تطلب بناء فلسفة جديدة للدولة تكون قادرة على تجاوز الاشكاليات القديمة عن طريق العمل بتطور حضاري الى مركز القيادة في مجتمع سياسي منظم.

كما أن ضعف التجربة الدستورية العراقية منذ 1921 فضلاً عن ضعف القوى السياسية الحاكمة في التوصل الى توافقات وطنية شاملة كان من شأنها أن تنتج مشاريع تحديثية للدولة والمجتمع[1].

وفي ذات الوقت كانت قوة جديدة مضادة للقديمة بدأت تبرز ، وهي وأن كانت بداياتها ضئيلة العدد إلا أنها كانت ذات اهمية سياسية متنامية ، وهذه القوى هي الصفوة الحضرية المتعلمة ، وهي وأن كانت جماعة غير متجانسة حيث نشأ اعضائها في مراتب اجتماعية واقتصادية مختلفة ومتعددة. إلا أنهم كانوا يملكون عدداً من السمات المتميزة لأنهم تلقوا تعليمهم في المدارس العلمانية التي تأسست خلال فترة الانتداب ثم الاستقلال أولاً وثانياً هم من الذين اكتسبوا الحياة الحضرية وقضوا حياتهم العلمية والعملية فيها، فكان أكثرهم مثقفين مستقلين كالمحامين والاطباء والمهندسين والمترجمين فضلاً عن اهمالهم الحرة[2].

وعلى هذا الأساس ، بدأت هذه النخبة تلتقي لاسيما بعد أن اطلعت على ادبيات الفكر الحداثي وادبيات مبادئ بعض الاحزاب الديمقراطية وخصوصاً الاشتراكية" كالحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني"[3]ومفاهيم البيان الشيوعي ، وطروحات " لينين" مثل كتابه المعنون " الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية" فضلاً عن الروافد الفكرية المحلية والاقليمية المختلفة في عملية النهوض الفكري مثل صحيفة " الزوراء العراقية" ، وصحيفة " المقتطف" ، وكتابات المفكرين" شبلي شميل" و " سلامة موسى" وغيرهم[4].

كان أمراً طبيعياً أن تعاصر فترة الثلاثينيات من القرن العشرين لاسيما بعد وفاة الملك فيصل الاول وفقدان التوازن السياسي داخل المملكة العراقية العديد من الافكار والايديولوجيات . فضلاً عن تصاعد الحركات السياسية والاجتماعية السرية والعلنية في قبال إصرار النخبة السياسة التقليدية الحاكمة للعراق بعد 1921 على محاربة الافكار الجديدة والاجيال التقدمية. وبناءاً على كل هذه الظروف كانت الافكار التقدمية التي تبنت الحداثة كمفهوم تقدمي اصلاحي قد برز في الثلاثينيات من القرن العشرين بمجموعة من المثقفين وبدأ يؤسس للحداثة التقدمية داخل التربة ومنها الفكر الاشتراكي[5].

ومن رحم ذلك الفكر تكونت " جماعة الاهالي" من عدداً من العناصر التقدمية والتي اصدرت في2 كانون الثاني 1932 صحيفة " الاهالي" التي حملت في أول مقال افتتاحي لها مقالاً بعنوان " منفعة الشعب فوق كل منفعة" ثم اصبح هذا المقال شعار للصحيفة[6].

(1) المصدر نفسه , ص48.
(2) فيبي مار، المصدر السابق، ص140.
(3) حسين جميل، الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914-1958، بغداد، 1984، ص84,
(4) فؤاد حسين الوكيل، جماعة الاهالي في العراق 1932-1937، ط2، بغداد، 1980، ص56.
(5) بيترفين، المصدر السابق، ص49.
(6) فؤاد حسين الوكيل، المصدر الاسبق، ص111.

وفي الواقع، فقد نشرت "جماعة الاهالي" في ايامها الاولى كراساً من ثمان صفحات بعنوان" الشعبية" وهو المبدأ الذي كانت جماعة الاهالي تسعى لتحقيقه و" الشعبية" هي تعبير عن وجهة نظرهم تجاه المشاكل التي توجه المجتمع، والعمل على حلها بصورة تقدمية اصلاحية ومنهج حداثي يكفل للمجتمع التقدم والسلام[1]. لأن التحولات التي كانت قائمة فرضت على المثقف العربي ضرورة بناء معرفة جديدة في افق ابداعي يعيد قراءة الواقع في ظل الاختلافات الفكرية والسياسية المتعددة ومحاولة الاجابة عن الاشكالية الرئيسية التي فرضها الوضع العربي المتخلف وهي(لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق)[2].

ومما لاشك فيه ، فأن المتتبع الى نهج النخبة المثقفة التي تبنت " الحداثة" داخل الفكر الاشتراكي، وأصدرت كراس" الشعبية" يجد في مضمون الشعبية" الشعبية" مبادئ تنظم الدولة الدستورية الذي لابد أن يقوم على العدل والقانون، وسياسته وثقافته واقتصاده الذي لابد أن يقوم على العدل والقانون، فضلاً عن أن " الشعبية" بكافة ابوابها قد اشارت الى مذهب سياسي جديد يسمى " الاشتراكية الديمقراطية" ايماناً منهم. بأنه حتى دخل الاحزاب "الاشتراكية" والاحزاب" الشيوعية" لابد أن تكون هناك" اشتراكية ديمقراطية"[3] خصوصاً وان الحزب " العراقي" الذي تاست عام 1934 بدأ يتغلغل داخل صفوف المؤسسة العسكرية، كذلك تحرك للعمل على ربط حركة التحرر الوطني بالشيوعية الاممية. وهو الامر الذي رفضته بعض اقطاب النخبة المثقفة التي تبنت" "الديمقراطية الاشتراكية" كمنهج حداثي تقدمي يمكن من خلاله اصلاح الواقع[4]. وبالتالي في كراس" الشعبية" كان يحمل ملامح " الحداثة" داخل الفكر الاشتراكي المعتدل والذي وصف على حد تقدير بعض المثقفين بما يُعبر عنه " العدالة الاجتماعية" كما أن "النخبة المثقفة" من اصحاب " جماعة الاهالي" التي اصدرت كراس" الشعبية" وتبنت بداخلها " الديمقراطية الاشتراكية" لم يذكروا دعوتهم للاشتراكية المعروفة في الغرب، لأن الشعب العراقي بسبب واقعه وظروفه الاجتماعية لم يكن مستعداً لقبول " الاشتراكية الغربية"، كذلك معارضة الحكومة العراقية ومن خلفها بريطانية في نشر الافكار الاشتراكية[5].

وفي ضوء هذا فقد اعجبت تلك الاطروحات بعض القيادات الفكرية والسياسية فأخذت تنتمي لـ "جماعة الاهالي" أمثال(عبد الفتاح ابراهيم وعبد القادر اسماعيل، وعزيز شريف وكامل الجادرجي وجعفر ابو التمن و محمد حديد وحسين جميل)والذين انقسموا الى جناحين فيما بعد لأسباب فكرية وسياسية وغيرها[6].

والذي يبدو، أن النخبة المثقفة العراقية التي تبنت مشروع الحداثة كان لها وعياً تاريخياً بين التحولات الثقافية والسياسية[7]، لاسيما وأن الحداثة تسعى الى تكوين نوع من التطابق بين مفهوم الدولة والوعي التنموي لتطلعات الدولة بما فيها من إطر ثقافية وعقائدية مع عدم وجود تفي لترسبات الماضي المرتبط ببعض الأسس الفكرية الأخرى كالدينية والقومية وغيرها ومواجهتها مع تأكيد وجود هيمنه للنص السياسي على هذه الأسس الفكرية، وإن الوعي بالأفكار والمفاهيم يسنده الوجود الاجتماعي للإنسان، لأن ليس كل الافكار نابعة من الوعي اتي بل يكون كثير من الافكار استجابة للمثيرات المادية الخارجية فإنتاج الافكار والتصورات والوعي مختلط بادئ الامر

(1)حسين جميل، المصدر السابق، ص86.
(2) كرطاني نور الدين، الحداثة والوعي التاريخي في فكر عبد الله العروي، ص779.
(3) فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، بغداد، 1963، ص4-7.
(4) عبد الرزاق مطلك الفهد، الاحزاب السياسية في العراق، ط1، بيروت، 2011.
(5) فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، المصدر السابق، ص4-7.
(6)عبد الرزاق مطلك الفهد، المصدر السابق، ص178.
(7) فيبي-مار، المصدر السابق،ص141.

بصورة مباشرة ووثيقة بالنشاط المادي والتعامل بين البشر، لأنه لغة الحياة الواقعية. وينطبق الأمر نفسه على الانتاج الفكري والذي يتمثل في لغة السياسة والقوانين والاخلاق الدينية والميتافيزيقيا[1].

على الجانب الآخر فأن في إحدى ادبيات الفكر اليساري مفهوماً يسمى (الماركسية) ، وأن الماركسية بحسب الفكر اليساري هي الأداة المثلى التي تمكن المجتمعات ووفقاً لصورتها الايديولوجية من عملية الوعي " بالحداثة" حيث تمثل الحداثة هنا نقطة من نقاط التاريخ الكوني الذي بلغته المجتمعات المتقدمة لاسيما الغربية[2].

وعلى هذا الاساس ، فأن تأسيس الحزب الشيوعي العراقي عام 1934 وتغلغله داخل صفوف المجتمع، وتحركه للعمل على التغيير على وفق مبدأ " الماركسية" أدى الى أن ينخرط الكثير من ابناء المجتمع في صفوفه[3].

وهنا أخذ الحزب الشيوعي وعبر النظرية الماركسية نمطاً مهماً من أنماط الوعي بالحداثة وهو الوعي السياسي حيث رأى أن الحداثة هي" الليبرالية السياسية"[4]، لأن الليبرالية السياسية هي التي انتقلت بها المجتمعات الغربية من حكم الإمبراطوريات الى حكم الجمهوريات، وإنشات الاحزاب ومنظمات المجتمع المدني، وشيدت الدساتير ومنحت الحريات[5].

كذلك تبنى الحزب الشيوعي وفق نظرية الماركسي ونمط الوعي الاقتصادي لأن الحداثة في احد ابعادها هي مشروع اقتصادي ووظف العلم والتقنية في عملية التحول الحضاري[6].

لقد ميز الحد الفاصل للحرب العالمية الأولى النخبة السياسية القديمة للضباط الشريفية عن الافندية الشباب بوصفهم جيلاً مختلفاً . وكما لأت الجيل الاول صاغ وعيه من وجوده داخل الدولة العثمانية ومدارسها وتأسيسها للأنشطة السياسية كالتيارات والأحزاب والجمعيات القومية فضلاً عن اشتراكهم في ثورات النهضة العربية كثورة عام 1916 فأن الجيل الثاني الذي برز في ثلاثينيات القرت العشرين هو فئة اجتماعية مميزة داخل المناطق الحضرية. ولقد كان للتعليم المدرسي في المدارس الحديثة خلال فترة الانتداب الأثر البالغ في تكوين وعيهم الفكري لاسيما انهم اعتبروا بريطانيا دولة محتلة للعراق. لذلك تحدوا النخبة السياسية القديمة التي تحولت الى طبقة وسطى جديدة من موظفي الدولة والمحامين والأطباء . ممن يمكن تلمس وجودهم في الحياة العامة لاول مرة في فترة الثلاثينيات في القرن العشرين واربعيناته وخمسيناته ، لذلك شكلوا نخبة جديدة وهم من الافندية الشباب، وبالتعاون فيما بينهم طوروا وعياً نخبوياً خاصاً وتوقعوا بالانتفاع من التحول عن التعاون مع بريطانيا حدوث نهضة قومية كما في تركيا أو ايران أو بعض الدول الاوربية. وبدلاً من النزعة التوافقية والمؤيدة للبريطانيين من جانب النخبة الشريفية، فقد استوعب الافندية الشباب" الأفكار الغربية" و" الأيدلوجيات" التي تم نقلها من خلال الترجمة في الصحافة وسوق الكتب.

فالنظام العسكري الذي حكم العراق من 1936-1941 كان تمرداً لجيل الشباب على الجيل الاول الحاكم للعراق[7].

وقد اشار المؤرخ العراقي محمود الدرة في سيرة الذاتية الى أن الضباط الشباب كانوا مرتبطين بالمثقفين والمهنين من الافندية الشباب ، فمثلاً أن محمود الدرة بعد تخرجه من كلية

(1) كرطاني نور الدين، المصدر السابق، ص784.
(2) عبد الحليم مهورباشه، المصدر السابق، ص116 .
(3) سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي ودوره في الحركات الوطنية العراقية 1949-1958ن رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص13.
(4) المصدر نفسه، ص17.
(5)عبد الحليم مهورباشه، المصدر السابق، ص114.
(6)سيف عدنان ارحيم القيسي، المصدر السابق، ص47.
(7) بيترفين، المصدر السابق، ص48-50.

الاركان العراقية مطلع 1938 عمل على نحو وثيق من" العقداء الأربعة"، كذلك كان من الشخصيات الرئيسية في حركة عام 1941.

حيث كانت هذه النخبة الشابة ممثلة زهواً بأمتهم وتمثل حلمهم في ان يكون للجيش القدرة على تحقيق دولة عربية كبرى وكتب محمود الدرة قائلاً " أن الجيش العراقي يطمح أن يكون " بروسيا العرب" [1].

ولذلك كان الوعي النخبوي عاملاً مميزاً لهوية الجيش خصوصاً لجيل الشباب العسكريين والمدنيين[2]. وقد استغلوا الصحافة والاعداد المتنامية للنوادي الخاصة بوصفها منتدياتا للنقاش لذلك هيمنوا على المجال الشعبي الحضري البازغ . وأخذوا يطورون آراء سلطوية حول التغيير ضمن المجتمع لتعزيز الفكر الحداثي، وقد لعبت القيادة والطاعة دوراً حاسماً في صياغة مخيالهم[3].

ومهما يكن من أمر، فقد أوجد التعليم الحديث والاحتكاك بالأفكار " الحديثة" أمكانية للاحتجاج على النخبة من الجيل الاول في حال فشلها بتحقيق مفاهيم "الحداثة" والتطور كالحرية والاستقلال[4]، واسست النوادي والجمعيات مواقع حاسمة لجدالهم الفكري الحداثي ." كنادي المثنى" وكذلك جمعية " الجوال" التي تأسست عام 1934 ، وكانت جمعية سرية ومعارضة لأن اغلب اعضائها موظفين حكوميين[5].

وفي أواخر الثلاثينيات اكتسبت النخبة المثقفة من الجيل الجديد زخماً سياسياً قوياً ، حيث تمثلت عقيدتهم السياسية في فكرة " التنظيم الحديث" للدولة[6]، وطبقاً لأحد ابرز الصحفيين الحداثويين" رفائيل بطي" فقد كانت مثلاً جمعية" الجوال" أنموذجاً للشباب ومصدراً لتعزيز تكوينهم ككتلة مدنية عسكرية ادبية ثقافية صحفية متماسكة والاكثر من هذا انحدروا من الشرائح الدنيا للمجتمع المدني العراقي، فضلاً عن تشكيلتهم ضمن(الشيعة، السنة، المسيح وحتى اليهود) بمعنى ادق أن هذا الانفتاح خلق رمزا لجيل واعي تقدمي [7].

من جهة أخرى، فقد ظهر فكر اصلاحي يدعو الى الاصلاح الجذري قادته الانتلجنسيا المثقفة التي انبثقت من" الطبقة الوسطى" التي لم تكن هي الاخرى قد نضجت بما فيه الكفاية حتى تأخذ دورها البنيوي في حركة التحديث لأسباب تتعلق بواقع القوى السياسية المهيمنة أنداك. وقد مثل الطبقة الوسطى "المعلمين" و" الطلبة" وموظفي الدولة" وانتشرت مفاهيمها الاصلاحية حتى في المجالس الثقافية والمقاهي بدعوى الربط في مجال الاصلاح بين الاستقلال السياسي والاقتصادي في الاصلاحات الاجتماعية والديمقراطية التي تتم عن طريق الانتخابات الديمقراطية[8].

(1) اليعازر بعيري، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، ترجمة: بدر الرفاعي: دار ابن سينا للنشر ، القاهرة، 1992، ص25.
(2) فيبي-مار، المصدر السابق،ص143.
(3)بيترفين، المصدر السابق، ص49.
(4)فيبي-مار، المصدر السابق،ص147.
(5) بيترفين، المصدر السابق، ص177.
(6) اليعازر بعيري، المصدر السابق، ص143.
(7) بيترفين، المصدر السابق، ص51.
(8) مفيد الزيدي، الانتلجنسيا ومحاولة التغيير في العراق: قراءة تاريخية، ح" مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، (مجلة)، ، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد(5) ن المجلد1، 2023، ص7.

لذلك أخذ الوعي السياسي يبرز في داخل الانتلجنسيا العراقية خصوصاً في داخل النقابات " كنقابة المعلمين" التي كانت تضم اغلب الانتلجنسيا لذلك كانت الانتلجنسيا العراقية منذ الثلاثينيات والاربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين قد مثلتها نخبة من الادباء والكتاب والاكاديميين أمثال معروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي، ومصطفى جواد، وعبد الرزاق الحسني، وعلي الوردي، وغيرهم ممن وضعوا لمساتهم في المشهد الثقافي العراقي. ومن جهة أخرى ن يرى الدكتور سيار جميل أن المثقفين العراقيين قاموا بتأسيس" الرابطة الثقافية" وهي واحدة من التجمعات الثقافية السياسية المهمة في العراق خلال ثلاثينيات القرن العشرين واربعينياته وهم من الانتجنسيا الواعدة التي تؤمن بالعمل الجمعي سواءاً كانوا ليبراليين أو راديكاليين ، وكانت تحمل الهموم السياسية والاجتماعية ضمن نزعة وطنية تهدف الى التطور والتقدم في العراق [1].

وإن الأجواء الليبرالية والاستقرار السياسي النسبي والافكار التنويرية التي شهدها العراق هي التي سمحت بظهور الطبقة الوسطى التي افرزت من صيرورتها الانتلجنسيا من المثقفين والادباء الذين شكلوا حالات من التعليم والتربية والجامعات والمعاهد والترجمة والكتابة والثقافة والصحافة والفن التشكيلي ، وربما كانت هي إحدى أسس النهضة الثقافية العراقية طوال القرن العشرين [2].

وحتى تستكمل النخبة المثقفه التي تبنت " الحداثة" بمفاهيمها الاصلاحية التقدمية مشروعها الحداثي فقد تحاشى" الحزب الوطني الديمقراطي" الذي تأسس عام 1946 بزعامة كامل الجادرجي " الفكر الشيوعي" تحديداً في كتاباته لأسباب منها أنه كان يخشى أن تندس عناصر شيوعية في الحزب فتغير اتجاهه التقدمي الحداثي، وكذلك فأن كره الحكومة الملكية العراقية للشيوعية جعل "" الحزب الوطني الديمقراطي" يحاول إبعاد شبهة الشيوعية عن حزبه بما فيها بعض العناصر اتي تسير على النهج الشيوعي، لذلك قدم كامل الجادرجي في 1947/8/15 الى اللجنة المركزية للحزب مذكرة اسماها " المذكرة الاشتراكية" دعى فيها الى تبني الحزب فلسفة خاصة وهي" الاشتراكية الديمقراطية" كنوع من أنواع الحداثة بحسب الفكر الاصلاحي للحزب. على الرغم من بعض عناصره لم تكن راغبة " بالاشتراكية الديمقراطية" [3]. ولما بدأت النخبة المثقفة التي تبنت الحداثة كانت قد جسدت قضية اجتماعية وهي تحول " المدينة" الى كونها المركز الاساسي للنضال التحرري وتحول الريف مجرد تابع لها. بمعنى أن المدينة أخذت تجر القرية. الامر الذي جعل القوى الفكرية والاجتماعية والسياسية التقليدية تحاصر المنهج الاصلاحي الحداثي ومثقفيه وأحزابه وطروحاته لأنها تدرك أن نشوء الفكر التقدمي خصوصاً بين ابناء الريف يؤدي الى تحلل النظام العشائري الذي هو أحد ركائز النظام الملكي، وأن تحلل النظام العشائري يؤدي الى نمو المدن، وأن نمو المدن يعني تهديداً مباشراً لقوى الملكية الحاكمة[4]. خصوصاً وإن الحركة الاصلاحية الحداثية بدأت تكسب العديد من ابناء المجتمع مما اعطى لمنهجها زخماً ثورياً ودعماً شعبياً توج بالعديد من الانتفاضات الجماهيرية مثل وثبة 1948 وانتفاضة 1952 و1956 . لذلك بدأت الحكومة تُصدر قوانين تحول دون انتماء الطلبة والموظفون الى الاحزاب لأنها تدرك بأن السماح للطبقة الوسطى التي تتحرك داخل مناخات التغيير يجعل السلطة الحاكمة على استعداداً لتقبل التوجه الفكري الثوري. بمعنى أدق أن الطبقة المثقفة هي القوى المنتجة لمختلف جوانب

(1)مفيد الزيدي، المصدر السابق، ص9-10.
(2) فيبي مار، المصدر السابق، ص161.
(3) عبد الرزاق مطلك الفهد، المصدر السابق، ص185.
(4) عادل تقي البلداوي، المنهج التاريخي التقدمي في العراق وأثره على الفكر السياسي المعاصر ، كمال مظهر أحمد أنموذجا ، ط1، مطبعة زاكي، بغداد، 2018، ص78.

الحياة مما يجعلها مؤثرة على مختلف الطبقات الاجتماعية الكادحة، وهو ما يمنح الحركة الوطنية والمنهج الحداثي الاصلاحي زخماً قوياً ومتصاعداً للنضال الوطني.[1].

وعلى صعيد آخر ، فقد لعبت " البرجوازية" دوراً كبيراً في عرقلة المنهج الحداثي الذي تبنته النخبة المثقفة التي اخذت تحوم داخل مفاهيم " الحداثة" حيث اصبحت البرجوازية على خطي نقيض مع الطبقة العاملة التي هي احدى اسس التغيير. لأن البرجوازية كانت ترتجف من أي تغيير في طبيعة الواقع الذي قد يؤدي بحسب عقيدتها الى انهيار مصالحها. في حين أن الطبقة العاملة استمرت تتطلع نحو التغيير الاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي لذلك كانت البرجوازية حليفاً غير موثوق به في فترات النهوض الثوري. فهي من الممكن لها وبحسب مصالحها من أن تتخلى عن الطبقة العاملة وتنظم الى اعداد الشعب فتعود الى صفة الرجعية في حال وصولها الى السلطة[2]. من جانب آخر ، فقد لاقت طروحات النخبة المثقفة التي تبنت " الحداثة" مواجهة من بعض التيارات الفكرية والسياسية التي كانت قائمة آنذاك فالتيار القومي اعتبر هذه الطروحات. هي عدواً للواقع العربي وأن الماسكين عليه ماهي إلا عصابة دكتاتورية العقيدة والتنظيم وتحمل في صلب عقيدتها اصول كل الانحرافات [3].

أما الفكر الاسلامي ، فقد حلل الحداثة عبر اسسها التاريخية . وبين أن اكثر جوانبها هي جوانب خاصة بالمجتمع العربي. مؤكداً على أن الحداثة ظهرت في الغرب كتمرد ضد الماضي وضد القيم المرتبطة بالكنيسة، وقد نظر الغرب الى الحداثة وعاشها كثورة أصبح العقل فيها لا يعترف بأي شيء بصورة مسبقه سواء في ميدان العقيدة أو ميدان التنظيم الاجتماعي والسياسي. وأن تحليل الحداثة على الصعيد التاريخي والاجتماعي كان قد مكن الفكر الاسلامي من الكشف عن الأسس التي تقوم عليها الحداثة كجانب من جوانب الحضارة الغربية على العموم. لذلك أنتقد الفكر الاسلامي البعد المادي للحداثة. وما ينتج من سعي وراء المنفعة واستقلال الشعوب، مؤكد على ان الحداثة كانت في بداية ظهورها ثورة محررة للإنسان إلا أنها ... في نظر الفكر الاسلامي وبدلاً من ان ترتبط بالجانب الروحي الذي تصبح بفضله مفتوحة على المطلق، جعلت الحداثة " الانسان" و"الواقع" (آلها) وبمنزلة (الرب) . كمرجعية خارج الانسان وخارج الواقع بنظرها ، ولذلك اصبحت المنفعة هي الغاية القصوى عند الحداثة كما أن الفكر الغربي ينظر الى الحداثة كغاية في ذاتها. بمعنى أدق ، تكفي نفسها بنفسها. أي كمرحلة تنهي التاريخ بدلاً من أن تكون تمهيداً لشيء آخر. فمعنى الحداثة لا يوجد خارجها. فالحداثة هي الواقع وهي المعنى في نفس الوقت. وهذا الامر لا يصمد ، لأن الدين هو واحداً من ابرز القوى الاجتماعية الاساسية التي تعطي للإنسان كيانه وشخصية، وهنا يتقاطع مع الاطار العام للحداثة ولمنطلقاتها كما تتجلى في فلسفة الأنوار هو أن الفكر البشري اصبح غير محتاج لوجود الله لتفسير العالم ولتأسيس القيم الاخلاقية، وهنا اتسع مجال تحرر الانسان حسب هذه الفلسفة نتيجة لنفي وجود الله او فصل السياسة عن الدين[4].

وأمام كل ما تقدم، عانى مشروع الحداثة من المناخات التي كانت تحيط به على الرغم من أنه امتلك مساحة اجتماعية وسياسية وفكرية مهمة لابأس بها.وأن عمليات تآكل واهتزاز الفكر

(1) عادل تقي البلداوي، دراسات في الفكر السياسي لتاريخ العراق المعاصر، ط1، مطبعة الكتاب، بغداد، 2019، ص83 و85.
(2)عادل تقي البلداوي، المنهج التاريخي التقدمي، المصدر السابق، ص91.
(3)عادل تقي البلداوي، اليمين واليسار في العراق 1921-1979 دراسة تاريخية ، مطبعة الكتاب، بغداد ، 2019، ص39.
(4) عامر عبد الامير،آفاق الحداثة في فكر الامام محمد باقر الصدر،-" الاستاذ"،(مجلة)، كلية التربية –ابن رشد، جامعة بغداد العدد 203 ، 2012، ص47.

الحداثي داخل التربة العراقية هي عمليات تآكل داخلية وخارجية أخذ الافراد والجماعات والنظريات والتيارات دوراً مهماً في تشتيت مفهوم الحداثة وتفكيكه حتى لا يساير القوى التقليدية القائمة داخل الواقع العراقي وبموازاتها[1].

الخاتمة :

مما سبق يبدو واضحاً، أن النخبة اليسارية العراقية كانت قد سعت سعياً دؤوباً نحو تحديث الفكر والمجتمع العراقي، فقد عملت ومنذ بدايات تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921 على محاولة توجيه الواقع السياسي والفكري والاجتماعي نحو استيعاب " مفهوم الحداثة" واساسياتها والعوامل التي ساعدت في تكوينها ، ومن ثم العمل على توجيه هذا المفهوم عن طريق الافكار والأحزاب والقوى الاجتماعية داخل الدولة العراقية بما ينطوي عليه مفهوم الحداثة من القدرة على الابداع والتنظير والتقدم بحيث لاقى مفهوم الحداثة ، وطروحاتها قبولاً في صفوق بعض القوى الفكرية والاجتماعية والسياسية، وفي مستويات مختلفة من السياسة والفن والثقافة والمجتمع، بسبب حماسة النهوض الفكري عند النخبة اليسارية ، وعمق المنهجية الفكرية لديها، وانفتاحه الواسع على الواقع العراقي. إلا أنه اصطدم بالعديد من العوائق كالقوى التقليدية الحاكمة ، وبعض القوى الفكرية القائمة بالعراق، مع موجود مؤثرات خارجية أخرى. كان من شأنها أن تؤثر على مشروع الحداثة وتجعله جزئية بسيطة في جانب الجزئيات الفكرية القائمة في العراق,

المصادر

أولاً: المعاجم والموسوعات

1- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004.
2- ناظم عبد الوحد الجاسور، موسوعة المصطلحات الفلسفية والسياسية.

ثانيا: الكتب العربية والمعربة:

1- بيتر فين، قوميو العراق وشبهة الميول الفاشية. ثلاثينيات القرن العشرين ومطلع اربعينياته. ترجمة : مصطفى نعمان احمد، ط1، بيروت، 2010.
2- حسين جميل، الفكر السياسي في العراق المعاصر 1914-1958، بغداد، 1984.
3- عادل تقي البلداوي، المنهج التاريخي التقدمي في العراق وأثره على الفكر السياسي المعاصر ، كمال مظهر أحمد أنموذجا ، ط1، مطبعة زاكي، بغداد، 2018.
4- ـــــــــــــــــــــــــــــ، اليمين واليسار في العراق 1921-1979 دراسة تاريخية ، مطبعة الكتاب، بغداد ، 2019.
5- ـــــــــــــــــــــــــــــ، دراسات في الفكر السياسي لتاريخ العراق المعاصر، ط1، مطبعة الكتاب، بغداد، 2019.
6- عبد الرزاق مطلك الفهد، الاحزاب السياسية في العراق، ط1، بيروت، 2011.
7- فاضل حسين، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، بغداد، 1963
8- فؤاد حسين الوكيل، جماعة الاهالي في العراق 1932-1937، ط2، بغداد، 1980.
9- فيب، مار، الصفوة السياسية في العراق، في كتاب: جورج لينشوفسكي، الصفوة السياسية في الشرق الاوسط، ترجمة: عادل امين هواري، دار الموقف العربي، القاهرة، 1993.
10- كرطاني نور الدين، الحداثة والوعي التاريخي في فكر عبد الله العروي، (د.ت)، 2021.
11- اليعازر بعيري، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، ترجمة: بدر الرفاعي: دار ابن سينا للنشر ، القاهرة، 1992.

(1) بيتر فين، المصدر السابق، ص51.

ثالثاً: المجلات:

1- مفيد الزيدي، الانتلجنسيا ومحاولة التغيير في العراق: قراءة تاريخية، ح" مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، (مجلة)، ، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد(5) ن المجلد1، 2023.

2- عامر عبد الامير،آفاق الحداثة في فكر الامام محمد باقر الصدر،-" الاستاذ"،(مجلة)، كلية التربية –ابن رشد، جامعة بغداد العدد 203 ، 2012.

3- عبد الحليم مهورباشة، الحداثة وانماط الوعي بها في الفكر العربي المعاصر، -" تبين"–(مجلة)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة سطيف.

4- فادي قدري، اتجاهات واشكالات الفكر العربي النهضوي، 18 يونيو 2016، رابط المقال

https;//www,noonpost.com/12393

رابعاً: الرسائل والاطاريح:

1- سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي ودوره في الحركات الوطنية العراقية 1949-1958ن رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد